

## القصود

باحثاً عن معنى الخلود:  
بائع كتب متجوّل  
يُنشئ نادياً للقراءة بمدينة عطرة

محمد عوض



تكيحه هذه الندره عن السعي وراء الكتب، فعزيز على تأسيس مكتبة ثقافية يطمح أن تلبّي تطلمات محبي القراءة، لكنّ ما تدرّه عليه طليته لا يكفي لإنشاء مكتبة، فما العمل؟ يحكي بكري لمراسل «أتر»: «طلبتُ من أحد أقاربي التجار أن يمنحني تمويلًا لبدء مشروعني في عمل المكتبة، لكنّه تعجّب من ذلك، واقترح عليّ قائلاً: لماذا لا تستجلب بها بطاطين؟ خصوصاً أن الوقت بارد الآن، ويمكن تخزينها إلى الشتاء القادم. وعندما رأني متمسكاً بمشروع المكتبة سألني: لكن ماذا ستفعل إذا بارت الكتب؟ كان يرى أنّ الناس منشغلون بهموم الحياة العادية ولا يوجد جمهور للقراءة، وأنّ الكتب ليست سلعة تضمن ربحاً سريعاً.»

ثمّ أدرك بكري أن هناك أملاً عندما استمع ذات يوم إلى قصة محمد بشير، صاحب مكتبة «اقرأ» بالخرطوم، الذي انطلق مشروعه بعرض 5 إلى 10 كتب فقط في البازارات والجامعات، وكان يُوصل الطلبات مُستخدماً دراجة هوائية حتى اتّسعت مكتبته لتشمل فروعاً في معظم ولايات السودان.

وبدلاً من السعي وراء التمويل أو الانتظار، تخلّى بكري عن الطليّة وباع هاتفه الشخصي لتوفير رأس مال بسيط ثمّ ابتدر مشروعه بمكتبة صغيرة، مؤجّلاً تصوّره المبدئي للمكتبة، فاستئجار المحلّ وتجهيز الرفوف والديكورات وغير ذلك يقتضي ميزانية ضخمة. اشترى مجموعة متنوعة من

«) اخترتُ طريقاً مختلفاً عن بقية الأهل، إذ إنّ ثقافة محيطي الاجتماعي تفضّل أن يكون الشابّ تاجراً شاطرًا أو صاحب مراح ضخم أو مغامراً بمناطق الذهب»، يقول بكري أوبال الذي اختار أن يعمل بائعاً للكتب وأسّس نادياً للقراءة في مدينة عطبرة. ينحدر بكري، واسمه أبو بكر عبد الواحد، ويبلغ من العمر 22 عاماً، من قرية المهيدات أم بلي بمحلية تمبول بولاية الجزيرة، وكان شغوفاً بالكتب والاطلاع منذ صباه، وعندما شبّ تطوّر شغفه ليغدو منارةً تنشر الوعي والمعرفة.

بدأت قصة بكري مع مدينة عطبرة في العام 2019 بزيارات متفرقة خلال الإجازات المدرسية، ليعمل مع أهله في تجارتهم بالمدينة، ثم يعود بعدها إلى تمبول عند بداية كلّ عام دراسي. في 2021، بعد أن أكمل بكري المرحلة الثانوية، اتّخذ خطوته الأولى عندما افتتح له شقيقه «طليّة» صغيرة في الميناء البرّي بعطبرة. في أوقات الفراغ، بين الزبائن وضجيج السوق، كان بكري يلجأ إلى القراءة. وأثناء وجوده في المدينة، لاحظ أنّ هناك شحاً كبيراً في المكتبات والكتب. وبعد بحث طويل، عثر على مكتبة صغيرة تحمل اسم «النيل»، وكانت من الأماكن القليلة التي توفر كتباً ثقافية، فأصبح زبوناً دائماً لها، لا لأنه وجد فيها كل ما يبحث عنه، إنما لأنها كانت النافذة الوحيدة تقريباً، ثمّ اكتشف بعدها مكتبة أخرى اسمها «براديس». لم

الكتب، إضافة إلى جزء من مكتبته الخاصة، وقرّر تنفيذ الفكرة بحقيبة صغيرة يحمل فيها بضاعته.

اختار البدء من الميناء البرّي بمدينة عطبرة، طائفاً بكتبه في الأروقة أمام مكاتب السفريات وداخل الحافلات والباصات المُغادرة إلى الولايات، بحثاً عن قراء مُحتملين وسط زحام المسافرين.

في اليوم الأول باع 22 كتاباً، وحقق أرباحاً جيدة سمحت له بشراء 32 كتاباً جديداً. يروي بكري أوبال: «أثبت لي هذا النجاح البسيط أنّ القارئ السوداني متعطش للمعرفة، لكنه يحتاج فقط إلى من يسهل له الوصول إلى الكتاب. وطالما صادفني أشخاص يرغبون في القراءة، لكنهم لا يملكون ثمن الكتاب، أو يمنعمهم ضيق ذات اليد من دفعه كاملاً. في تلك اللحظات، لا أمانع من إعطائهم الكتب بأقلّ من السعر، حتى لو أدى ذلك إلى نقص رأس مالي. يقيني أنّ قيمة المعرفة أكبر من الربح».

بعدها صار يحمل داخل الحقيبة كتيبات منخفضة التكلفة مثل «حصن المسلم» الذي لم يكن يتجاوز حينها سعره 400 جنيه، ليقدمها خياراً بديلاً أو هدية لأولئك الذين لا يملكون ثمن الكتب الكبيرة الأعلى سعراً.

بعد أن جمّع قليلاً من المال، فكّر بكري أن يبدأ العمل أونلاين، فأنشأ في العام 2022 صفحة على منصّة فيسبوك اختار لها اسم «مكتبة أوبال»، تيمناً بالحجر الكريم، تُقدّم

خدماتها بتوصيل الكتب للزبائن في أماكنهم. واجه المشروع في بدايته ضعفاً في الإقبال، إذ لم يكن التسويق الإلكتروني كافياً لإقناع مواطن عطبرة بجدوى الفكرة في ذلك الوقت. في 2023، ومع ظروف الحرب وحركة النزوح الكبيرة، زاد الحراك الثقافي في المدينة، ولاحظ بكري أنّ الناس يبحثون عن كتاب معين على صفحات التواصل الاجتماعي، وتكررت الأسئلة عن مواقع المكتبات في المدينة، وسرعان ما اتسع الإقبال على صفحة «مكتبة أوبال»، وأصبحت الطلبات شبه يومية. يستنتج أوبكر أنّ القراءة ربما كانت هي المتنفس والوسيلة الأسهل للتعافي النفسي من صدمة الحرب وسط هوة الكتب القادمين من الخرطوم ومدني، وأنّ من الناس من لا يهجرن طريق البحث عن المعرفة حتى في أصعب الظروف.

ومن رصده لتفضيلات القراء، لاحظ بكري أنّ الكتب الأكثر طلباً هي مؤلفات التنمية البشرية وعلم النفس وروايات الفانتازيا والكتب الدينية الحديثة التي تحمل رؤية عصرية بسيطة مثل أعمال أدهم الشرقاوي.

«لكنّ بيع الكتب وحده لم يكن كافياً لإحداث التغيير الذي أحلم به، لأن المشكلة أعمق من مجرد الحصول على كتاب، إنما تحتاج هذه المدينة أيضاً إلى مجتمع يقرأ ويُناقش ويُفكّر. لهذا انضممتُ متطوعاً إلى «تعليم بلا حدود» وهي حركة تغيير اجتماعي تعمل على تطوير التعليم في السودان عبر عدد



يضمّ النادي أكثر من 200 عضو من الجنسين، ونجح في عقد جلسات نقاش مستمرة تناولت أكثر من 36 كتاباً في مجالات متنوعة مثل الأدب والفلسفة والتربية وعلم النفس والتاريخ. وفرت جلسات النقاش، التي تستمر ساعتين أو ثلاث ساعات، فرصة للحاضرين للحصول على زوايا ورؤى متعدّدة لمشاركين مختلفين.

يخبر بكرى «أثر» بأن قراءات رواد النادي تعتمد على النسخ الإلكترونية للكتب، بخاصّة الكتب السودانية، قائلاً: «تعيّن علينا ذلك، لأنّ النسخ الورقية من المؤلّفات السودانية نادرة، ولأنّ مبادرة نادي القراءة واجتماعاتها لاقت رقابة غير مباشرة من الاستخبارات في بداياتها، ظناً بأنّها أهدافاً سياسية، لكن اعتقد أنهم تأكّدوا من غرضها الأساسي لذلك لم تواجهنا أي مشكلات لاحقاً».

بعد ذلك، توسّعت الفكرة أكثر، وبدأت «مكتبة أوبال» تعمل على نشر الوعي بأهمية القراءة وسط طلاب المدارس، من خلال لقاءات وجلسات تتحدّث عن سؤال بسيط لكنه أساسي: «لماذا نقرأ؟». واليوم، يعمل بكرى على مشروع جديد داخل سجن عطبرة المحلي وسجن الدامر، عبر إنشاء

من المبادرات والمشروعات. ومن بين تلك المشروعات كان نادي القراءة، يقول بكرى. ومن خلال الشراكة مع «تعليم بلا حدود»، استطاع بكرى أن يُفعل مشروع نادي القراءة في عطبرة، بإنشاء منصّة إلكترونية تجمع القراء، وتبع ذلك حراك تنظيمي مكثّف استمر ثلاثة أسابيع لوضع الهيكلة، لتُعقد أول جلسة رسمية لنادي القراءة بمدينة عطبرة في مايو 2024. كان الهدف تعزيز ثقافة القراءة وتوفير مساحات للنقاش الأدبي. تحوّل النادي في وقت قياسي إلى مساحة تجمع عشاق القراءة من الوافدين وأهل عطبرة، وشهد النادي نمواً ملحوظاً في عدد الأعضاء.

تجاوز نادي القراءة كونه مساحةً للمناقشة في الكتب ليصبح بمثابة أسرة تربط أعضاءها علاقات إنسانية واجتماعية قوية، واجتمع فيه كلّ الذين فقدوا مجتمعاتهم الثقافية، وتحوّل إلى نقطة التقاء غير متوقّعة؛ حيث التقى قراء كانوا يلتقون سابقاً في منتديات ثقافية بالخرطوم والجزيرة. خفّف عنهم هذا اللقاء آثار النزوح وكسّر عزلتهم وأتاح فرصاً لتكوين شبكات معارف جديدة داخل عطبرة. يلتئم شملهم كلّ أسبوع في أماكن مختلفة بالمدينة لمناقشة كتاب بعد أن يُعلن عنه ويطلّع عليه الأعضاء.

ترتبط نشاطي بانتماءات سياسية، وأرسلوا له صور جلسات النادي قائلين إنها جلسات شيوعيين في عطبرة، وقالوا له إنني أبيع كتب الكفار، دون حتى أن يفتحوا صفحة واحدة منها. تطلب الأمر مجهوداً مضاعفاً لتوضيح الحقائق لوالدي والتأكيد على أن البرنامج ثقافي بحث لا غير».

واليوم، لم تعد خدمات أوبال مقتصرة على عطبرة وحدها. فالمكتبة أصبحت تعمل في عطبرة والخرطوم، مع خدمة توصيل إلى مختلف الولايات الآمنة، لتصل الكتب إلى قراء ربما يواجهون المشكلة نفسها التي واجهها هو في بداياته. ولا تقف طموحاته عند رهن «مكتبة أوبال»، إذ يعمل على تسجيلها مؤسّسة ثقافية. ويفكر أيضاً في الانتقال إلى مجتمعه المحلي في تمبول حتى يسهم في تغيير المفاهيم المجتمعية السائدة تجاه القراءة والكتب. كذلك لا يقف شغفه بالكتب عند قراءتها، إذ يشارف بكري الآن على الفراغ من كتابة رواية تتناول فترة الحضارة الكوشية.

يروى في منشور على صفحة «مكتبة أوبال» وقائع زيارته إلى مكتبة جيبب القومية التي أسّست في 1921، إذ أخبره أمين المكتبة بأن والده قد تركها وقفاً لطلاب العلم وأهل المعرفة، يكتب بكري: «تأثرت كثيراً؛ أن يترك رجل بعد موته أثراً بهذا العمق، ليس بيتاً ولا تجارة، بل مكتبة هي معنى للخلود لا تبلغها أي ثروة. إنما الإنسان أثر».

مكتبتين داخل السجنين. يقول ل «أثر»: «لا ينبغي أن تكون فترة العقوبة وقتاً ضائعاً، إنما فرصة للإصلاح والتطوير. لذلك أسعى إلى أن تصبح الكتب جزءاً من حياة النزلاء، وأن تتحول القراءة إلى نافذة تمنحهم فرصة جديدة للنظر إلى أنفسهم وإلى العالم».



ويرسم بكري صورة عن التحديات التي واجهته أثناء العمل في النادي والمكتبة قائلاً: «اخترتُ طريقاً مختلفاً عن بقية الأهل، إذ إن ثقافة محيطي الاجتماعي تفضّل أن يكون الشاب تاجراً شاطرأ أو صاحب مراح ضخم أو مغامراً بمناطق الذهب. لذلك كان هناك انتقاد مستمر، وبتّ أسمع كثيراً أقوالاً مثل: الشغلة دي ما بتأكل عيش! ودي شغلة فارغة! وما في زول فاضي للقراءة! التعليقات الإيجابية كانت قليلة جداً، وبلغ الأمر ببعضهم أن تواصلوا مع والدي في تمبول ونقلوا له معلومات مغلوبة



السودان ومحيطه

مجلة تصدر أسبوعياً عن  
مركز سودان فاكس للصحافة



نعمل على السودان  
من كل مكان

لاستلام نسخة (pdf) من المجلة أسبوعياً

على البريد الإلكتروني،  
الرجاء مراسلتنا مرة واحدة على:  
[atar@sudanfacts.org](mailto:atar@sudanfacts.org)

على WhatsApp أو Signal،  
الرجاء إرسال رسالة تحوي كلمة «أتر» أو «Atar» في التطبيق على الرقم:  
+254115438212

للانضمام إلى شبكة مراسلي أتر في السودان الرجاء مراسلتنا على:  
[atar@sudanfacts.org](mailto:atar@sudanfacts.org)

لزيرة موقعنا الإلكتروني:  
[www.atarnetwork.com](http://www.atarnetwork.com)

 [@atarnetwork](https://www.atarnetwork.com)